جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

أسباب التطور الصوتي وقوانينه في اللغة العربية

إعداد

منال بنت سُريج بن حسين المالكي

ماجستير لغويات كلية اللغة العربية وآدابها
جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية.

العدد الخامس والعشرون
للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م
الجزء الأول

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

أسباب التطور الصوتي وقوانينه في اللغة العربية.

منال بنت سريج بن حسين المالكي

ماجستير لغويات كلية اللغة العربية وآدابها جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني : MNOOL_1984@hotmail.com

الملخص :

دراسة وجيزة تهدف إلى معرفة أبرز الأسباب والقوانين التي أدّت إلى تطور أصوات اللغة. وتشتمل هذه الدراسة على مقدمة توضّح أهداف البحث ، واعتمدت المنهج الوصفي، ثم ذكرت الدراسات السابقة ، يعقبها مبحثان ، المبحث الأول :أسباب التطور الصوتي ،المبحث الثاني : قوانين التطور الصوتي، ثم تتلوها خاتمة تشتمل على أهم نتيجة في الدراسة . وأهم نتيجة تَوَصّلت إليها هذه الدراسة لا يوجد اتفاق بين العلماء على الأسباب التي تؤثّر في تطور أصوات اللغة ، ومن الصعب معرفة القوانين التي تحكم تلك التطورات. من أكثر القوانين الصوتية تأثيراً في تطوّر أصوات اللغة بصفة عامة هو قانون : السهولة والتيسير، ثم يأتي بعده في التأثير قانون المماثلة والذي يؤثّر في سيره قانون الأقوى . لا يمكن وضع قاعدة ثابتة للحكم على أصوات اللغة بأنّ أحدها أسهل من الآخر في النطق عند جميع اللغات أو البيئات ، فكثيراً ما يعود ذلك إلى رغبة المتكلّم وبيئته وعاداته اللغوية ، فما يراه شعب أو بيئة صوت سهل قد تراه بيئة أخرى أو شعوب أخرى صوت صعب .

الكلمات المفتاحية : التطور، الصوتي ، قوانينه، اللغة العربية.

Causes and Laws of the Phonological Development in Arabic

Manal Bnt Suriaj Ibn Hussein Al-Maliki

Master of linguistics in faculty of Arabic literature in Umm Al-Qura University, Kingdom of Saudi Arabia .

Email: MNOOL_1984@hotmail.com

Abstract

This concise study sets out to identify the most famous causes and laws which led to the development of language sounds. This study includes an introduction clarifies the research targets. It depended on the descriptive methodology. Afterwards, it mentioned the literature review followed by two topics; first topic handles the causes of phonological development, second topic handles the laws of phonological development, then a conclusion includes the most important result of the study. The most important result it reveals is that there is no difference between the scholars concerning the causes which affect the language sounds and that it is difficult to identify the laws which control these developments. The law of ease and facilitation is one of the phonological laws which has great impact on the development of the language sounds in general, and follows it the law of assimilation which is affected by the law of the stronger. No rule can be set to state that one of the language sounds is easier than the other regarding pronunciation in all languages and environments. Often this is results from the desire of the speaker, his environment, and linguistic habits; whereas a people or an environment believes this sound is easier, other people or environment believes it is difficult one.

Keywords : Development – phonological – its laws – Arabic .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

من المُتعارف عليه أن اللغة ليست ثابتة على مرّ العصور، فهي تتبدّل وتتطوّر على ألسنة المتحدّثين وفقاً للظروف المحيطة بها، وتطورات اللغة تشمل جميع جوانبها، والتطور الصوتي أحد هذه الجوانب ، ومن هنا جاءت هذه الدراسة التي تهدف إلى : معرفة الأسباب والقوانين التي قد تؤثّر في أصوات اللغة لتكون سبباً في تطوّرها ، وقد اتّبعت المنهج الوصفي في هذه الدراسة ، ومن أبرز الدراسات السابقة في هذا المجال : التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه للدكتور / رمضان عبد التواب ، والتطور التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية للدكتورة آمنه الزعبي ،والتطور الصوتي في الألفاظ أسبابه وظواهره للدكتور / محمود عكاشة.

إنّ اللُّغة كائن حي؛ إذ إنها لا تعيش بمعزل عن المجتمع، بل تحيا على ألسنة الأحياء والمُتكلِّمين بها، فهي في تفاعل مستمر وتطور دائم على ألسنة المتكلمين بها، وهي ظاهرة اجتماعية تستمد من المجتمع خصائصها وسماتها، فتطور المجتمع سبباً في تطوّرها إما للرقي أو الانحطاط[١].

والتطور لغة: التحول من طور إلى طور[٢].

---

(١) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٧هـ -١٩٩٧م ،ص ٩.

(٢) المعجم الوسيط ٥٦٩/٢، المؤلف :إبراهيم مصطفى -أحمد الزيات- حامد عبد القادر، محمد النجار ، دار النشر: دار الدعوة ، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وفي الاصطلاح: تبديل وإحداث للغة، يجري وفقاً لسننها، وينساق مع فطرتها، وينقاد لقواعدها، ويوافق روحها وخصائصها(١).

وتطوُّر اللّغة: مصطلح عام يشمل التطورات التي تتعرض لها اللغة في جميع مستوياتها: (الدلالية، والنحوية، والصرفية والصوتية)، وإضافة الصوت إلى التطور تُميِّزه من تلك التغيرات العامة التي تصيب اللغة، وتُخَصِّصُه بجَعْلِهِ محصوراً في التطور الذي يُصيبُ اللغة من جهة أصواتها.

وتطور اللغات في أصواتها أشدُّ سرعة وأكثرُ تنوعاً من تطورها في جوانب الصيغ والمفردات والأساليب؛ إذ إنّ الجانب المنطوق يمارس حريته في التغير بشكل أكبر من الجانب المكتوب، هذا بالإضافة إلى أنّ الجانب الصوتي يصادف ظروفاً سياقية لاتظهر في الكلام المكتوب(٢).

وإن الباحث في تطور الأصوات لن يجد اتفاقاً بين علماء اللغة على تحديد الأسباب التي يمكن أن يُعزى إليها تطور الصوت، ومن المحدثين من يُرجع التطور الصوتي في اللغة إلى سبب واحد تشترك فيه جميع اللغات، إلا أن الأكثرين منهم يرجحون أن هناك أسباب عديدة اشتركت في هذه التطور، والحقيقة أنه من الصعب التأكيد والجزم بأن أحد هذه الأسباب هو المسؤول عن تطور الأصوات(٣).

---

(١) فقه اللغة وخصائص العربية ص٣٢٥، محمد المبارك، دار الفكر، بيروت –لبنان، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٢) دراسة الصوت اللغوي ٣٦٩، د.أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

(٣) الأصوات اللغوية ،١٨٦،د. إبراهيم أنيس ،مكتبة الأنجلو المصرية.

يقول: (فردينان دي سوسير) في هذا الجانب « لا شك أن البحث عن هذه الأسباب هو من أكثر المسائل صعوبة في الأَلسُنِيّة، وقد اُقْتُرِحَت تفسيرات عديدة، غير أنه لم يكن لأي منها أن يقدّم كشفاً شافياً للموضوع»[١].

وفيما يلي عرض لأبرز وأهم تلك الأسباب التي ساهمت في تطوّر الأصوات:

اختلاف أعضاء النطق:

من العلماء من يجعل للجانب الفسيولوجي أهمية فيما يتعلق بتطور الأصوات، فالتطور الذي يطرأ على أعضاء النطق من جيل إلى آخر يؤدي إلى التطور الصوتي، فتطور الصوت ما هو إلا نتيجة لتطور أعضاء النطق[٢].

وممن قال بهذا: العالم المغربي « روسلو » والذي أوقف قسطاً كبيراً من جهوده على دراسته وتدعيمه بالأدلة القاطعة، وتحرّي حقائقه بوسيلة جديدة هي وسيلة « الأجهزة الفونيتيكية التجريبية »[٣].

وجعل بعض الباحثين التغيرات التي أصابت بعض أصوات اللغة العربية دليلاً على ذلك، فصوت الجيم الذي كان ينطق به معطشاً في العربية الفصحى تحول في معظم المناطق المصرية إلى (جيم غير معطشة)، والثاء

---

(١) محاضرات في الألسنية العامة ١٧٩، فردينان دي سوسير، تعريب يوسف غازي، ومجيد النصر، دار نعمان للثقافة، جونية، ١٩٨٤م .

(٢) الأصوات اللغوية ١٨٦.

(٣) علم اللغة ٢٩٠،د.علي عبد الواحد وافي ،نهضة مصر،الطبعة العاشرة،١٩٩٧م .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

كذلك تحولت في بعض البلدان العربية إلى (تاء) فيقال: (توب وتلج وتعبان بدلاً من ثوب وثلج وثعبان)، فهذه الأمثلة تدل على أن تلك الأصوات قد أصبحت ثقيلة على أعضاء النطق؛ لذلك استبدلوابها أصواتاً تلائم ما انتهت إليه أعضاء نطقهم(١).

إلا أنه ومن الناحية التشريحية لا يوجد ما يعضد هذه النظرية فقد أثبت علماء التشريح أن أعضاء النطق واحدة لدى جميع البشر على اختلاف الأزمنة والأمكنة، بل إن من علماء التشريح من برهن على أن حنجرة أشهر المغنِّين لا تختلف في تشريحها عن غيره إلا أن الأول يجيد السيطرة على التنفس(٢)، والزنجي الذي حُشِر منذ ولادته في المجتمع الفرنسي يتكلم الفرنسية كأهلها تماماً(٣).

وفي ظَنِّي أنّ هذا السبب لا يُقام له وزنٌ في تطور الصوت؛ إذ إنّه ليس هناك أدلّة ذات قيمة تشير إلى اختلاف أعضاء النطق باختلاف الأجيال، بل إن ذلك ما لا يُستساغ عقلاً، فاختلافنا في نطق بعض الأصوات على غير ما كان ينطق به القدماء ليس لأنّ أعضاء نطقهم مختلفة عن أعضاء نطقنا، بل إن هناك أسباباً عديدة أسهمت في ذلك الاختلاف، فالبيئات تختلف تمام الاختلاف، والحياة الاجتماعية وما يحيط بها، والاحتكاك الذي يحدث بين الأفراد، والمكان الذي قُدِّر لكل فرد العيش فيه، وتباعد الأزمنة، كل ذلك يطبع الصوت بطابع خاص ليس في ظنِّي أنّ للبُنيَة الطبيعية لأجهزة النطق علاقة به.

---

(١) المرجع السابق ٢٩١ .

(٢) الأصوات اللغوية ١٨٦ .

(٣) محاضرات في الألسنية العامة ١٧٩.

البيئة الجغرافية:

كما أنَّ للبيئة أثراً على نفسيات أفرادها وسلوكهم فإنَّ أثرها يمتد إلى لهجاتهم ولغتهم، « فخصائص الإقليم تنعكس على أهله »[١]، والذين يعيشون في بيئة زراعية مستقرة يتكلمون لهجة غير التي يتكلمها الذين يعيشون في بيئة صحراوية بادية[٢]، وغالباً ما اعتبرت التغيرات الصوتية تكيفاً وشروط الأرض والمناخ[٣].

وقد أكّد طائفة من العلماء على أهمية هذا العامل في حدوث التطور الصوتي، فقد دلّل « كولتيز » على ذلك لما لحظه على اللغة الألمانية فقد تطورت أصوات تلك اللغة في المناطق الجبلية من الشدة إلى الرخاوة نظراً لما يبذله ناطقي الجبال من جهد أثناء عملية التنفس فيقومون لذلك بالتخلص من أصوات الشدة نظراً لحاجتها لبذل جهد أثناء النطق[٤].

وقد أنكر (يسبر سن) ما ذهب إليه (كولتيز) لأن تطور الأصوات على هذا النحو لا يقتصر حدوثه على البيئة الجبلية، بل إن من البيئات السهلة من تقوم بذلك والمعوّل عليه في عملية النطق بالأصوات ليس كمية الهواء الخارج من الرئتين بل أعضاء النطق نفسها[٥].

---

(١) علم اللغة ٢٥٨.

(٢) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ٤٤، د.عبده الراجحي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٣) محاضرات في الألسنية العامة ١٨٠.

(٤) الأصوات اللغوية ١٨٧.

(٥) المرجع السابق ١٨٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ويبدو أنَّ د. إبراهيم أنيس لا يؤمن بتأثير هذا العامل على أصوات اللغة، ويحصر تأثيره على الخيال والمعاني يقول: « وإذا كانت أصوات اللغات في بعض الجهات الجبلية تميل إلى الخشونة كما في جهات القوقاز، فليس السر في هذه الطبيعة الجبلية، بل يجب أن يبحث عن سر آخر، لأن كثيراً من الجهات السهلة قد اشتركت أصواتها في هذه الصفة، وعلى هذا فمن الصعب الحكم على أثر الطبيعة الجبلية في أصوات اللغة وتطورها، أما إذا قيل إن الطبيعة الجغرافية لها أثر في الأخيلة والمعاني، فهذا مما لا جدال فيه »(١).

وأرى أنّه كما يتجلّى أثر البيئة على المعاني والخيال والأساليب فإنه يتجلّى أيضاً في الصوت، يؤيد هذا الكثير من الشواهد المتناثرة في كتب اللغة، فقد عُرِفَ من خلال تلك الشواهد نزعة البدو وميلهم لإنتقاء الأصوات الشديدة والمفخّمة والمجهورة، وميل الحضر إلى الأصوات الرخوة والمرققة والمهموسة، ولا فارق بين هؤلاء وهؤلاء سوى البيئة التي تحتضنهم وطبيعة الظروف التي تحيط بكل بيئة

الحالة النفسية:

أولت طائفة من العلماء الحالة النفسية التي يعيشها الفرد اهتماماً عند حديثها عن تطور الأصوات، فما يعتري مشاعر أفراد بيئة من البيئات يؤثر على نطقهم للأصوات، وأفراد بيئة يحظون بالراحة والاستقرار يختلف نطقهم للأصوات عن أفراد بيئة تكبّدت عناء الترحال.

---

(١) الأصوات اللغوية ١٨٧-١٨٨.

ويتخذ من قال بهذا الرأي لغة الألمان دليلاً على أثر هذا العامل حين يتتبعون ما أصابها من تطور تاريخي، فشعب الألمان يميل للحرية وعدم الاستقرار في مكان لمدة طويلة، لذلك فقد هاجروا من مكان إلى آخر، كما أن أصواتهم اللغوية تغيرت تبعاً لهجراتهم(١).

ويتَّضح أثر هذا العامل في لهجات العرب القديمة فالحضر عُرِف عنهم الميل إلى النطق بالأصوات الرخوة، والبدو عُرِف عنهم الميل إلى النطق بالأصوات الشديدة(٢).

والملاحظ أن هذا العامل يرتبط بالعامل السابق ، فتغيَّر البيئة الجغرافية يتبعه تغيّر لنفسيّات الأفراد والشعوب، إلا أنه من الصعب القول بتأثيره على الصوت دون أن تكون هناك عدة عوامل وأسباب اشتركت معه وساهمت في ذلك التطور.

ويرى د. إبراهيم أنيس هذا العامل لا يستحق الوقوف عنده طويلاً فالربط بين أصوات اللغة والحالة النفسية للفرد لا تجد ما يؤكد عليها في تاريخ الشعوب(٣).

السرعة في النطق:

فالمتحدث في الحياة اليومية وفي الخطاب اليومي يميل للوصول إلى غرضة من أيسر السبل وأقصر الطرق، فهو يتحدث بسرعة حتى لا يدع مجالاً للمخاطب بمقاطعته، وحتى يوفر وقتاً لاستغلاله في التعبير عن أفكار

---

(١) الأصوات اللغوية ١٨٨، اللغة والتطور ٢٨-٢٩، د. عبد الرحمن أيوب، مطبعة الكيلاني.
(٢) الأصوات اللغوية ١٨٨.
(٣) الأصوات اللغوية ١٨٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أخرى، أما التَروِّي والتأنِّي في الكلام فلا يتحقق إلا في الأحاديث الرسمية، فالمتحدث يملك من الوقت ما يتيح له التعبير عن رأيه دون أن يخشى مقاطعة المخاطب(١).

وقد لاحظ (وندت) أن الثورة الثقافية التي حدثت للألمان كان من نتائجها بالإضافة إلى استقرار الشعب الألماني، التأثير على سرعة النطق.

« ويمضي (وندت) مستعرضاً الأصوات التي تغيرت، مبيناً كيف أثرت النزعة إلى سرعة النطق على حركات الأعضاء الصوتية، بما جعل التغير الذي وصلت إليه أمراً لا مفر منه(٢).

« ويرى (جسبرسن) أنّ (وندت) لم يكن دقيقاً في وصفه لحركات أعضاء النطق، كما أنه لم يبين السبب في أن هذا التغيير في الأصوات قد انحصر في مجال اجتماعي ضيق، بينما كانت الصورة الثقافية شاملة، امتدت أطرافها حتى شملت جميع شعوب أوروبا بأسرها، هذه الشعوب التي تطورت كما تطور الألمان »(٣).

وقد لوحظ في لهجات العرب ما يشير إلى وجود أثر لهذا العامل، فقد عُرِف عن البدو ميلهم لسرعة النطق في حديثهم، فيدغمون صوتاً بصوت آخر، ويسقطون من الأصوات مالا يخِلُّ بالمعنى، ويؤدي الغرض بإيصال المعنى بوضوح للسامع(٤).

---

(١) لغات البشرأصولها وطبيعتها وتطورها٨٦،تأليف :ماريو باي ،ترجمة د.صلاح العربي ، الناشر الجامعة الامريكية بالقاهرة ،١٩٧٠م .

(٢) اللغة والتطور ٢٩.

(٣) اللغة والتطور ٢٩.

(٤) في اللهجات العربية ١١٥، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية.

ويعد سقوط بعض الأصوات من الكلمات في أثناء النطق بها من أوضح الصور لعامل السرعة في النطق ومثل ذلك ما رُوِيَ عن قبيلتي (خثعم وزبيد) من قبائل اليمن، فقد كانوا يميلون إلى حذف النون « من » الجارة إذا وليها ساكن فيقولون: « خرجت ملْمسجد »(١).

ومن ذلك ما ينسب إلى قبيلة بلحارث من حذف اللام والألف في حرف الجر (على) إذا تَبِعَها ساكن، فيقولن: (ركبت علفرس) أي على الفرس(٢).

العادات اللغوية للشعوب:

لاشك أن الشعوب تختلف في عاداتها وتقاليدها وحضاراتها، وفيما يمتلكه أفرادها من ثقافات ولغات، ولغة كل فرد ليست إلا انعكاس لبيئته وأمته التي يعيش فيها، فهي تختلف بين أفراد الشعوب، ولكل شعب طرق وعادات نطقية تميزه عن غيره.

« ولا يخفى ما يترتب على اختلاف الشعوب في طريقة النطق من آثار بعيدة المدى في التطور الصوتي في اللغات الوافدة على المنطقة، فعندما ينتقل شعب إلى شعب آخر فيتحدث بلغة أخرى جديدة فإنه يقوم لا إرادياً بتطبيق عاداته الصوتية القديمة التي اعتادها في نطقه للغته على تلك اللغة الجديدة وهذا ما يطلق عليه بعض الباحثين « الطبقة السفلى للغة »(٣).

---

(١) في اللهجات العربية ١٦-١٧.

(٢) المرجع السابق ١٦-١٧.

(٣) اللغة٨٢، جوزيف فندريس، تعريب: عبدالحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٠م ، وينظر أسس علم اللغة ١٣٩، ماريو باي، ترجمة وتعليق أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه١٢٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ويُلحظ أن تطور اللغات يزداد سرعة بازدياد انتشارها في الخارج، وبازدياد عدد الناس الذين يتكلمونها، إذ إنَّ انتشارها في أقاليم تحتك فيها بلغات أخرى يجعلها عرضة لأن تفقد خصائصها الموغلة في الذاتية(١).

ومثل هذا التأثر حدث للغة العربية حين دخلت لشعوب مختلفة بسبب الفتوحات، حيث إن تلك الشعوب تقوم بنطق أصوات العربية، فتُغير فيها بما اعتادت عليه في لغتها.

ولأن التأثير بين اللغات متبادل فإنّ العربية أحدثت مثل ذلك على الألفاظ الجديدة التي دخلت عليها « كما وقع في الألفاظ المعرّبة التي أبدل العرب أصواتها كالأقليد (cleda) والفالوذج (بالوده)»(٢).

وأشار الجاحظ إلى أثر اختلاف العادات اللغوية للشعوب بقوله: « وقد يتكلّم المغلاق الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربيَّة المعروفة، ويكون لفضه مُتخَيّراً فاخراً، ومعناه شريفاً، ويعلمُ من ذلك السامعُ كلامه ومخارج حروفه أنَّه نبطيّ، وكذلك إذا تكلم خُراسانيٌّ(٣).

اختلاف اللهجات:

من العوامل المساهمة في تطور الأصوات هي تلك الاختلافات في نطق الأصوات والتي نشأت من لهجات متعددة لقبائل مختلفة في خصائصها الاجتماعية والجغرافية وإن كانت هناك لغة مشتركة تعمد إليها جميع القبائل

---

(١) اللغة فندريس ٤٢٧.

(٢) فقه اللغة وخصائص العربية ٥٧.

(٣) البيان والتبيين ج ١/ ص ٥١، المؤلف: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الناشر: دار صعب – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.

في خطاباتها، وتيسّر الاتصال بينهم، إلا إن لكل قبيلة لهجة تحمل من السمات ما يميزها عن غيرها، وقد أتت القراءات السبعة مراعية هذا الاختلاف في اللهجات بين القبائل[١].

وقد اختلفت مخارج بعض الأصوات، وطريقة نطقها، والقوانين التي تحكم الأصوات المتجاورة باختلاف القبائل، وإلى هذا الاختلاف تُرْجَعُ بعض مظاهر الإبدال اللغوي[٢] ومن هنا نشأت تلك الظواهر الصوتية التي تُعزى إلى بعض القبائل، ومن تلك الظواهر الناتجة عن اختلاف اللهجات:

- اختلاف القبائل في صفات الأصوات بين (الجهر والهمس)، و(التفخيم والترقيق):

اختلفت القبائل في (جهر الأصوات وهمسها)، والجهر تميل إليه القبائل البدوية، إذا أنّها تَقْطُن في مساحة شاسعة، فالصوت قد يفني في تلك المساحة التي لا حدود لها، وهذه الطبيعة تتناسب مع الأصوات المجهورة والتي تتسم بالوضوح في السمع، وعلى عكسها القبائل الحضرية التي تَقْطُن في المنازل، فهي ليست بحاجة إلى وضوح الصوت؛ إذ أن المسافة بين أفرادها متقاربة فهي تميل إلى همس الأصوات[٣].

(١) دراسات في فقه اللغة ٧٩، د.صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت- لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٩-١٩٦٠م.

(٢) في اللهجات العربية ١٥-١٦-١٧، الإبدال في ضوء اللغات السامية ١٠٢، دراسة مقارنة، ربحي كمال ، منشورات جامعة بيروت العربية، بيروت، ١٩٨٠م.

(٣) في اللهجات العربية ٩٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن ذلك ظاهرة « الفحفحة » التي تنسب إلى هـذيل وفيهـا تقلـب الحاء عيناً[١]، و« العنعنة » وهي قلب الهمزة المبدوء بها عيناً والتي تنسب إلى تميم وقيس عيلان، وفي تلك الظاهرتين محاولة من تلك القبائل للجهـر بالصوت بما يتلائم وطبيعتهم.

التفخيم والترقيق: اختلفت القبائل في اختيار الصوت المرقق والمفخّم فغلب على البدو اختيارهم للصوت المفخم وعلى عكسهم الحضر في اختيـار المرقق ومن ذلك: « قشط وكشط » « فتميم وأسد يقولون: قشطت بالقاف، و وقيس تقول: كشطت، وليست في هذا بدلاً من الكاف لأنهما لغتان لأقـوام مختلفين »[٢].

والاختلاف بين القبائل لا يقتصر على المظاهر الصـوتية السـابقة، فهناك كثير من المظاهر الصوتية التي نتجت عن نزوع قبيلة إلى « صوت » يختلف في بعض خصائصه عن (الصوت) المقابل الذي تنـزع إليـه قبيلـة أخرى، كتحقيق الهمز الذي ينسب لقبائل وسط الجزيرة، وتسـهيلها الـذي ينسب للحجاز.

ومن الملاحظ أن البدو دائماً ما ينسب لهم تلك الأصوات التي تَتَّسـم بالقوة وعلى عكسهم الحضر وهذا يلائم طبيعة كلا البيئتين.

---

(١) المرجع السابق ٩٤.

(٢) الإبدال والمعاقبة والنظائر ٧٩، لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي ، تحقيـق : عزالدين التنوخي ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق ، ١٩٦٢م.

أخطاء السمع:

يلتقى الطفل اللغة من والديه ومن المحيطين به بواسطة حاسة السمع، وقد يحدث خلط بين صورتين خاصة ما تقارب منهما في المخرج فيخطئ الطفل في تلقيها، وبالتالي يخطئ في نطقها وهذا لا يقتصر على الطفل بل يحدث للطفل والكبير على حدٍّ سواء(١).

وقد يعترض الطفل من الأشياء ما لم يسمع له مسمى من قبل فيقيس على ما يحتفظ به في ذاكرته من مسمّيات وكلمات مشابهة، وهكذا حتى يكبر، وليس باليسير معرفة ما إذا كانت الكلمة موافقة لقواعد اللغة، أما إذا كانت الكلمة مخالفة لقواعد اللغة ولما شاع فيها فحينئذٍ نحكم عليها أنّها من قياس الفرد وهنا ما يسمّي بالقياس الخاطئ، وقد ينتشر هذا الخطأ بين الناس عن طريق التقليد فتنشأ الأخطاء اللغوية، ومن الصعب معرفة أول شخص أُخِذَ عنه القياس الخاطئ أو الكلمة المقيس عليها(٢).

ولا يُعتَدُّ بأخطاء اللغة الناجمة عن خلل في جهاز السمع إذ إنّ هذه حالة خاصة بفرد معيّن، وإنما الذي يؤثِّر في تطوّر الأصوات ما ينشأ عن ضعف صوت من الأصوات نتيجة لمؤثرات تحيط به، فمع الزمن يضعف حتى يصل لدرجة لا يلحظه السامع، فيتلقى الأبناء من الآباء كلمات سقطت أصواتها لذلك السبب، فينطق بالكلمات مجردة من تلك الأصوات الضعيفة ويحدث التطوّر الصوتي(٣).

---

(١) علم اللغة ٢٩٦، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ١٨٧.

(٢) لحن العامة والتطور اللغوي ٤٨، د.رمضان عبد التواب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٧م.

(٣) علم اللغة ٢٩٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن الباحثين من يُرْجِع معظم الظواهر التي تتعاقب فيها الأصوات إلى هذا السبب، ويرى آخر أن ما ورد من الألفاظ المتعاقبة والتي يعدّها القدماء من الترادف، ليست من الترادف في شيء وإنما نشأت من الأخطاء السمعية التي وقعت نظراً لما بين أصوات تلك الكلمات من اتحاد في المخارج(١).

أخطاء السمع:

يتلقى الطفل اللغة من والديه ومن المحيطين به بواسطة حاسة السمع، وقد يحدث خلط بين صورتين خاصة ما تقارب منهما في المخرج فيخطئ الطفل في تلقيها، وبالتالي يخطئ في نطقها وهذا لا يقتصر على الطفل بل يحدث للطفل والكبير على حدٍّ سواء(٢).

وقد يعترض الطفل من الأشياء ما لم يسمع له مسمى من قبل فيقيس على ما يحتفظ به في ذاكرته من مسمّيات وكلمات مشابهة، وهكذا حتى يكبر، وليس باليسير معرفة ما إذا كانت الكلمة موافقة لقواعد اللغة، أما إذا كانت الكلمة مخالفة لقواعد اللغة ولما شاع فيها فحينئذٍ نحكم عليها أنّها من قياس الفرد وهنا ما يسمّي بالقياس الخاطئ، وقد ينتشر هذا الخطأ بين الناس عن طريق التقليد فتنشأ الأخطاء اللغوية، ومن الصعب معرفة أول شخص أُخِذَ عنه القياس الخاطئ أو الكلمة المقيس عليها(٣).

---

(١) في اللهجات العربية ١٦٣، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ١٨٧.
(٢) علم اللغة ٢٩٦، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ١٨٧.
(٣) لحن العامة والتطور اللغوي ٤٨ .

ولا يُعتَدُّ بأخطاء اللغة الناجمة عن خلل في جهاز السمع إذ إنّ هذه حالة خاصة بفرد معيّن، وإنما الذي يؤثِّر في تطوّر الأصوات ما ينشأ عن ضعف صوت من الأصوات نتيجة لمؤثرات تحيط به، فمع الزمن يضعف حتى يصل لدرجة لا يلحظه السامع، فيتلقى الأبناء من الآباء كلمات سقطت أصواتها لذلك السبب، فينطق بالكلمات مجردة من تلك الأصوات الضعيفة ويحدث التطوّر الصوتي(١).

ومن الباحثين من يُرْجِع معظم الظواهر التي تتعاقب فيها الأصوات إلى هذا السبب، ويرى آخر أنّ ما ورد من الألفاظ المتعاقبة والتي يعدّها القدماء من الترادف، ليست من الترادف في شيء وإنما نشأت من الأخطاء السمعية التي وقعت نظراً لما بين أصوات تلك الكلمات من اتحاد في المخارج(٢).

(١) علم اللغة ٢٩٧.

(٢) في اللهجات العربية ١٦٣، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ١٨٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

قوانين التطور الصوتي

إنّ تطوّر الصوت لا يسير بصورة مُنفَلِتَة من المعايير والقوانين التي تضبطه وتحكمه(١)، إلا أنّه لا يُطلق في الأصوات مسمى قانون بمعناه الدقيق كما في ميادين بعض العلوم، بل يجب أن يُطلق بمعناه الواسع، فالقوانين في علوم الطبيعة تصدق دائماً بقطع النظر عن المكان والزمان، أمّا قوانين الأصوات فإنها تنبئ فقط عن قدر معين من الإطراد في تطور الأصوات، وفي حدود زمانية ومكانية معينة، أي أنّها تشير إلى تطوّر صوت إلى صوت آخر في فترة زمنية معينة، وتحت ظروف معينة ومحددة تحديداً دقيقاً(٢).

وإن كان يغلب على الباحثين حصر القوانين الصوتية في قَانُونَي « المماثلة والمخالفة » فإنه من الصعب حصرها في هذين القانونين فقط، وما لُوحِظَ من عدم اتفاق بين العلماء في رد الأسباب الصوتية لسبب معين، فمثله يلاحظ في قوانين الأصوات.

ومن أهم القوانين الصوتية:

قانون المماثلة: تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض عند النطق بها في الكلمات والجمل، ومن المعلوم أن الأصوات تختلف في صفاتها ومخارجها، فإذا التقت أصوات متنافرة حدث بينها شد وجذب بهدف الوصول بالأصوات إلى نوع من التشابه والانسجام بجعل الصوتين غير المُتَمَاثِلَيْن

---

(١) المحمول على التغيّر الاتفاقي في كتب الإبدال ، د.آمنة صالح الزعبي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج١٩، ع ٤٠، ربيع الأول ١٤٢٨هـ.

(٢) دور الكلمة في اللغة ستيفن أولمان، ترجمة د.كمال بشر، دار غريب الطباعة والنشر، الطبعة الثانية عشرة، ص٩٣.

مُتَمَاثِلَيْن[١].

وإن كانت المماثلة لم تُعرف بهذا المسمّى إلا حديثاً، فإنّ القدماء لم يجهلوها كظاهرة لغوية عبّروا عنها بعدة مسمّيات منها: المضارعة[٢]، والتقريب[٣].

والتأثّر الذي ينتج عن المماثلة يأخذ عدّة مسميات بحسب الاتجاه الذي يسير نحوه التأثير، فإن كان التأثير يسير متجهاً من الصوت الأول للثاني سُمِّيَ (تأثراً مقبلاً أو تقدّمياً) وإن كان التأثير يسير متجهاً من الصوت الثاني للأول سُمِّي (تأثر مُدْبراً أو رجعياً) وإن حدثت مماثلة تامة بين الصوتين سُمِّي التأثر (كلي) وإن حدثت مماثلة في بعض الخصائص الصوتية سُمِّي التأثر (جزئي)[٤].

وفيما يلي أمثلة لكل نوع من أنواع التأثر[٥]:

١- تَأَثُّرمُقبِل كلّي في حالة الاتّصال:

مثاله: تَأثر تاء الافتعال بالدال أو الطاء فتقلب دالاً أو طاء مثل:

---

(١) ينظر: أسس علم اللغة ١٤٧، ماريوباي، ينظر: الأصوات اللغوية ١٤٥ د. إبراهيم أنيس، ينظر: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ٣٠.

(٢) الكتاب ٤٧٨/٤،لأبي بشر عمروبن عثمان بن قنبر ،تحقيق وشرح : عبدالسلام هارون ، الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة ،الطبعة الرابعة.

(٣) الخصائص ١٤١/٢،لأبي الفتح عثمان ابن جني ، تحقيق : محمد علي النجار، الطبعة الرابعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م.

(٤) ينظر: التطور اللغوي، ظاهره وعلله وقوانينه ٣٣.

(٥) ينظر: المرجع السابق ٣٣، ينظر: علم الأصوات، د. حسام البهنساوي، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، ص١١٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

(ادّرك) أصلها: (ادترك)، فالدال والتاء يتفقان في المخرج إذ إنهما (صوتان لثويّان أسنانيّان)، إلا أنهما يختلفان في الصفة (فالتاء صوت مهموس والدال صوت مجهور)، فتأثرت تاء الافتعال المهموسة بالدال المجهورة قبلها فقُلِبَت دالاً مثلها (ادّدرك)، وبعد أن اتّحَد الحرفان تم الإدغام فأصبحت (ادّرك)، فالحرفان هنا تماثلا تماثلاً لذلك فهو تأثر (كُلِّي).

٢-تَأَثُّر مُقْبِل كُلِّي في حالة الانفصال:

مثاله: تَأَثُّر حركة الضم في ضمير النصب والجر الغائب (المفرد المذكر، والمثنى (المذكر والمؤنث)، والجمع (المذكر والمؤنث)، بما قبلها من كسره طويلة أو قصيرة أو ياء فتقلب الضمة كسرة[١].

مثاله في المفرد المذكر:

برجلِهُ ← برجلِه تأثرت حركة الضم (بكسرة اللام) القصيرة قبلها فَقُلبَتْ كسرة لتماثلها.

فيهُ ← فيهِ تأثرت حركة الضم (بالكسرة الطويلة) قبلها فقلبت كسرة لتماثلها.

عليهُ ← عليهِ تأثرت حركة الضم (بالياء) قبلها فقلبت كسرة لتماثلها.

مثاله في المثنى المؤنث والمذكر:

بِهُما ← بهِما تأثرت حركة الضم في الضمير (هما) بالكسرة قبلها فقلبت كسرة لتماثلها.

(١) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ٣٤، علم الأصوات د. حسام البهنساوي ١٩٩.

مثاله في جمع المذكر:

بصاحبهم ←صاحبهم (تأثرت حركة الضم في الضمير (هم) بكسرة الباء قبلها فقلبت كسرة لتماثلها.

قاضِيهُم ← قاضِيهِم تأثرت حركة الضم في الضمير (بالكسرة الطويلة) قبلها قلبت كسرة لتماثلها.

مثاله في جمع المؤنث:

بِهُنَّ ← بهِنَّ: تأثرت الضمة في الضمير (بالكسرة) قبلها فقلبت كسرة لتماثل ما قبلها

٣-التَأَثُّر المقبل الجزئي في حالة الاتصال:

مثاله: تأثر تاء الافتعال بالصاد قبلها فتقلب طاء للاتفاق في صفة التفخيم.

مثل: اصطبغ: أصلها (اصتبغ) على (افتعل)، تأثرت تاء الافتعال بالصاد قبلها فتحولت إلى طاء.

٤-التَّأَثُّر المقبل الجزئي في حالة الانفصال:

مثاله: تأثر السين المهموسة بالراء المجهورة قبلها، فتقلب إلى نظيرها المجهور وهو (الزاي).

مثاله: كلمة (مهراس) التي أصبحت (مهراز) في لهجة الأندلس العربية[١].

(١) المدخل إلى تقويم اللسان لابن هشام اللَّخْمِي، تحقيق: د.حاتم الضامن، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فالتأثر هنا في صفة الجهر فقط، إذ لم يتماثل الحرفان مماثلة تامة، فلذلك يطلق عليه تأثر (جزئي).

٥-التأثّر المدبر الكلي في حالة الاتصال:

مثاله في مضارع صيغتيّ: (تفعّل وتفاعل)، تتأثّر التاء بعد تسكينها للتخفيف، بفاء الفعل إذا كانت صوتاً من أصوات الصفير أو الأسنان ثم قيست على ذلك صيغة الفعل الماضي(١).

مثاله في صيغة المضارع من تفعّل:

يذكر –أصلها– يتذكَّر– تأثرت التاء بالذال فقلبت ذالاً ثم أدغمت فيها.

مثاله في صيغة المضارع من تفاعل:

يثّاقل يتثاقل: تأثرت التاء بالثاء بعدها فقلبت ثاء ثم ادغمت فيها.

ولأن الصوت الأول تأثر بالصوت الذي يليه فهو (مُدْبِر)، وتمّ فناء الصوت في الصوت الذي يليه فناءً تاماً فهو لذلك تأثر (كُلّي).

٦-التأثر المدبر الكلي في حالة الانفصال:

ومن ذلك تطوّر كسرة الميم في صيغتيّ اسم الآلة: (مِفْعَل) ومِفْعَلة، إذ تحولت الكسرة إلى فتحة فأصبحت: (مَفْعَل) و(مَفْعله)(٢)، ثم اطّرد هذا التحوّل في لهجة الأندلس العربية في القرن الرابع الهجري، فقد رُوِيَ عنهم أنهم كانوا يقولون: (مَصيدة، مَطرقة، مَغرفة، مَشْرط، مَكنسة).

---

(١) التطور اللغوي ٣٨–٣٩، مظاهره وعلله وقوانينه ، علم الأصوات د. حسام البهنساوي ٢٠٥.

(٢) لحن العامة والتطور اللغوي د. رمضان عبد التواب ٢٣٧–٢٣٨.

٧-التأثر المدبر الجزئي في حالة الاتصال:

مثاله: تَحَوُّل الصاد قبل الدال إلى زاي في اللهجات العربية القديمة مثل: « يَزْدُق » في « يَصدُق » يقول ابن السكيت: « والعرب تقول: ازْدُق بمعنى: اصدق، ولا يقولون: (زَدَقَ)[١].

ففي المثال السابق تأثر الصوت الأول (الصاد) بالصوت الذي يليه (الدال)، فالصاد صوت مفخّم والدال صوت مرقق فقلبت الصاد زاياً لتناسب الدال.

٨-التأثر المدبر الجزئي في حالة الانفصال:

وذلك بأن يتأثّر الصوت بصوت بعده، بشرط أن يفصل بينهما صوت آخر، فيتحول الصوت المتأثر إلى صوت آخر قريب من الصوت الذي يليه في المخرج أو في الصفات الصوتية الأخرى[٢].

مثاله: ما ورد عن قراءة «ورش بن نافع»: «أم هم المصيطرون» «لست عليهم بمصيطر» بإخلاص الصاد، وروى محمد بن الجهم عن الفراء، قال: «الكتاب وخط المصحف بالصاد في مصيطر والمصيطرون والقرّاء بالسين»[٣].

---

(١) الإبدال ،لأبي الطيب عبدالواحد بن علي اللغوي الحلبي ، تحقيق : عزالدين التنوخي ، ص ٤٥.

(٢) علم الأصوات، د. حسام البهنساوي، ٢١٣.

(٣) مقدمتان في علوم القرآن ص ١٤٨، نشر أرثرجفري، مكتبة الخانجي ،القاهرة ١٩٥٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وهناك نوع من المماثلة يجمع بين تأثيرين (تأثر مقبل جزئي، وتأثر مدبر كلي في حالة الاتصال، فالتأثير بينهما متبادل)[١].

اذتكر تأثرت التاء بالدال فقلبت دالاً لتناسبها فأصبحت (اذدكر) وهنا التأثر مقبل من الأول نحو الذي يليه، ثم حدث تأثر عكسي بأن تأثرت الدال في الدال تأثر مدبر فقلبتها إلى دال لتماثلها كلياً فتدغم فيها لتصبح (ادّكر)[٢].

المخالفة

إذا كانت المماثلة تحدث لتحقيق التوافق والتماثل بين الصورتين، فإن المخالفة تأتي لتقوم بإنشاء الفروق والخلافات بين الصورتين المتماثلين، وعلى هذا فإن المخالفة تسير معاكسة للمماثلة في دورها فهي تقوم بقلب أحد الصورتين المتماثلين إلى صوت يخالف الصوت الآخر في مخرجه أوفي صفته أو في الصفة دون المخرج أو في المخرج دون الصفة، وغالباً ما يكون هذا الصوت المخالف من أصوات العلة الطويلة، أو الأصوات المائعة (اللام، والراء، والميم، والنون)[٣].

ويُعرّف فندريس المخالفة بقوله: «ينحصر التخالف وهو المسلك المضاد لمتشابه في أن يعمل المتكلم حركة نطقية مرة واحدة وكان من حقها أن تعمل مرتين»[٤].

---

(١) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ٤٩.

(٢) المرجع السابق ٤٩.

(٣) الأصوات اللغوية ١٦٩، التطور الصوتي في الألفاظ أسبابه وظواهره ٤٤،د.محمود عكاشة ،دار النشر للجامعات ،القاهرة ، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

(٤) اللغة فندريس٩٤.

سبب حدوث المخالفة: إن الصوتين المتماثلين يتطلبان جهداً عضلياً عند النطق بها في كلمة واحدة فتأتي المخالفة لتخفف من عبء النطق بصوت يتطلب جهداً عن طريق الإتيان بصوت مخالف لا يتطلب جهداً عضلياً عند النطق به « كاللام والميم والنون وأصوات اللّين وما شابهها »(١).

ويرى برجشتراسر أن سبب المخالفة يعود إلى الناحية النفسية « فإن الناس كثيراً ما يخطئون في النطق، ويلفظون بشيء غير الذي أرادوه، وأكثر ما يكون هذا إذا تتابعت حروف شبيهة بعضها ببعض؛ لأن النفس يوجد فيها قبل النطق بكلمة، تصورات الحركات اللازمة على ترتيبها، ويصعب عليها إعادة تصوّر بعينه بعد حصوله بمدّة قصيرة، ومن هنا ينشأ الخطأ، إذا أسرع الإنسان في نطق جملة محتوية على كلمات، تتكرر وتتابع فيها حروف مشابهة »(٢).

وحين تتساءل ما الضرورة لحدوث المماثلة إذا كانت المخالفة تأتي لتعاكس عملها؟

فإن أحد الباحثين يجيب على هذا التساؤل بقوله: « ولا تعارض بين الاتجاهين، فقد أوضحنا الداعي إلى المماثلة وهو الصعوبة التي قد تعتري النطق، وتدعو إلى التخفيف والاقتصاد في الجهد العضلي، فإن نطق الصورتين المتماثلين قد يكون سهلاً ميسوراً لا يستنفد جهداً عضلياً كبيراً، وقد يستدعي التماثل مجهوداً عضلياً أكثر فيقتضي ذلك التخفيف بالمخالفة؛ لتخفيف السهولة في النطق »(٣).

---

(١) الأصوات اللغوية ١٧٠.

(٢) التطور النحوي للغة العربية ٣٤، برجشتراسر،أخرجه وصححه وعلق عليه ، د.رمضان عبدالتواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دارالرفاعى بالرياض ١٩٨٢م.

(٣) الصوتيات اللغوية ٣٢٩، د.عبد الغفار حامد هلال، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط١، ٢٠٠م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقد تنبّه قدماء اللغويين لهذه الظاهرة فعبروا عنها « بكراهية التضعيف »[١] أو (ثِقل المثلين)[٢]، أو « اجتماع الأمثال مكروه »[٣]، أو « هروباً من ثقل التضعيف »[٤]، وغيرها من تلك العبارات التي تشير إلى معرفتهم بهذه الظاهرة.

وقد أشار سيبويه إلى هذه الظاهرة فعقد لها باباً في كتابه أطلق عليه ((هذا باب ما شذ فأُبْدِلَ مكان اللام ياء لكراهية التضعيف، وليس بمُطَّرِد، وذلك قولك: تَسَرّيتُ، وتَظَنَّيْتُ، وتَقَصّيْتُ من القِصّة، وأَمْلَيتْ))[٥].

وأشار ابن جني إلى استثقالهم المِثْلين، حتى قلبوا أحدهما في نحو أمليت–وأصلها « أمللت »، ومنه قولهم لا وربيك لا أفعل، يريدون: « لا وربِّك لا أفعل »[٦].

وعلى الرّغم من معرفة القدماء لهذه الظاهرة وإشاراتهم لها، إلا أنّهم لم يولوا هذه الظاهرة ما تستحقه من عناية، وإن إشاراتهم لهذه الظاهرة لم تكن كافية لأن تقنع الباحث بسبب حدوثها[٧].

---

(١) الكتاب ٤/٤١٧، شرح المفصل ١/ ٢٦، تأليف الشيخ موفق الدين بن يعيش النحوي، عالم الكتب بيروت.

(٢) الممتع في التصريف لابن عصفور الإشبيلي ٣٦٩، تحقيق:د.فخر الدين قباوه، منشورات دار الآفاق الجديدة –بيروت .

(٣) الأشباه والنظائر في النحو ١/ ٢٧ للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا –بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م.

(٤) الممتع ٣٧١.

(٥) الممتع ٣٧١.

(٦) الخصائص ٢/٢٣٣.

(٧) الأصوات اللغوية ١٧٠.

ومن أمثلة المخالفة: «دسّس» اجتمعت ثلاث أصوات صامتة، هي السين المشددة ثم السين الأخيرة، فقلبت السين الأخيرة إلى صوت لين طويل فأصبحت «دسّى»، ومنه قوله تعالى: (وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاها)[١].

الأصل: دسّسها: أُبْدِلت السين الأخيرة ألفاً لكثرة الأمثال[٢].

ومنه قولهم في دهدهت الحجر: دهديت: قلبوا الهاء الأخيرة ياء كراهية اجتماع الأمثال[٣].

ومنها ما يقوله بعض العامة اليوم في خمّش: خرمش وفي قنبيط: قرنبيط، وطربأ في طبّق وفي خلّط: خلبط[٤].

قانون السهولة والتيسير:

يذهب أصحاب هذه النظرية إلى القول بأن الإنسان يميل إلى النطق بالصوت الأسهل، والذي يحتاج إلى مجهود أقل عند النطق به، ويؤدي في ذات الوقت غرض إيصال المعنى إلى ذهن السامع[٥].

وقد لاقت هذه النظرية أنصاراً ومؤيدين، فممن أيّد هذه النظرية العالمان (هويتني ومكس مولو)، إذ يريَان أن « كل ما نكشفه من تطور في اللغة ليس إلا أمثلة لنزعات اللغات إلى توفير المجهود الذي يُبْذَل في النطق»[٦].

---

(١) الشمس: ١٠.
(٢) أصوات اللغة العربية ١٣٤، د.عبد الغفار هلال ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ.
(٣) الأشباه والنظائر ٢٧/١.
(٤) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه: ٥٩.
(٥) الأصوات اللغوية ١٨٨، التطور اللغوي ٧٥.
(٦) علم اللغة ٢٨٨، اللغة والتطور ٣٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ويرى « دي سوسير » أن قانون الجهد الأقل يُفسِّرُ عدداً من الحالات التي سقطت فيها المقاطع الصوتية النهائية الكبيرة في العديد من اللغات، ويُفَسِّرُ أيضاً ظواهر الإدغام والانتقال من الصائت الأحادي والذي ليس إلا نوعاً من الإدغام(١).

ويُمثّل د. إبراهيم أنيس على صحة هذه النظرية من لغتنا العربية بقوله: وقد يؤيد هذه النظرية ذلك التطور الذي حدث في بعض الأصوات الرخوة للغة العربية، كالدال والثاء والظاء، إذ أصبحت في لغة الكلام أصواتاً شديدة، هي الدال والتاء والضاد لأنه قد يكون أسهل على المرء وهو يجري بأقصى سرعته، أن يصطدم بحائط أمامه، من أن يحاول الوقوف قبل الحائط بمسافة قصيرة(٢).

ويعلّق د. رمضان عبد التواب على المثال الذي ذكره د. إبراهيم أنيس بقوله: « وهذا وهم منه جعله يزعم في تعليله لضياع هذه الأصوات الثلاثة من الكلام أن الأصوات الشديدة أسهل من الأصوات الرخوة في النطق»(٣).

ويستدل د. رمضان عبد التواب على هذه الظاهرة باندثار الأصوات الأسنانية في بعض اللهجات العربية الحديثة، فالأصوات الأسنانية في العربية (الدال والتاء والظاء) تتطلب إخراج طرف اللسان ووضعه بين الأسنان عند النطق بها، ولاشك أن ذلك جهد عضلي تَخلّصَتْ منه لغة الكلام بنقل المخرج

(١) محاضرات في الألسنية العامة ١٨١.
(٢) الأصوات اللغوية ١٩٠.
(٣) لحن العامة والتطور اللغوي ٥٢.

إلى ما وراء الأسنان[١].

ويثير أحد الباحثين تساؤلاً عن ذلك التطور الذي لحظه في العامية العمانية فالضاد تحولت إلى ظاء في مثل (مضر) و(لا الضالين)، إذ تطورت عندهم إلى (مظر) و(لا الظالين)، فيقول: «فأين قانون السهولة والتيسير الذي يُحوّل صوت الظاء إلى ضاد، وقد حدث العكس فتحولت الضاد إلى ظاء»؟[٢].

ونجد في كلام د. إبراهيم أنيس ما يشير إلى مثل هذا التطور أي (من السهل إلى الصعب) فيقول: « فإذا وجد الباحث أنّ التطور الصوتي كان عكسياً أي: من السهل إلى الصعب، كما وجد فعلاً في بعض الحالات، فعليه أن يبحث عن أسباب أخرى، وهو لاشك سيجدها في ظروف خاصة باللغة التي قد يحدث فيها هذا النوع من التطور، فليس ينقض هذه النظرية أن نجد أحياناً أصوات سهلة تطورت إلى أصعب منها في بعض الحالات »[٣].

وإذا كان هناك من نَاصرَ هذه النظرية، فإن هناك في المقابل من عارضها وأنكرها، فالعالمان الغربيان (سيفرز) (severs) و(ليسكن) (Leskien)، يَريَانِ أن القول بهذه النظرية ليس سوى « كلام أَجْوَفْ يرفضه العلم الحديث »[٤].

---

(١) التطور اللغوي ٨٣.

(٢) في علم اللغة والأصوات ١٨٩، د.سليمان أحمد سليمان، مكتبة المتنبي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

(٣) الأصوات اللغوية ١٨٨-١٨٩.

(٤) اللغة والتطور ٣٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ويُؤَيِّدُهُما « ماريوباي » بالقول بعدم صحة هذا العامل، فلو صحّت هذه النظرية لكانت كل اللغات الحديثة أسهل في نطقها من اللغات التي تفرعت عنها، وستتّضح مخالفة ذلك للواقع إذ قارنّا النظم الصوتية للغتين الفرنسية واللاتينية، فالواقع أن التطورات اللغوية تخضع لعوامل أخرى أكثر تعقيداً بكثير من مجرد رغبة المتحدثين في بذل مجهول أقل، حتى يوفروا على أنفسهم بعض المشقة والعناء(١).

ويعترض د. عبدالرحمن أيوب على هذه النظرية ويتساءل مُسْتَنكِراً بقوله «ومن ذا الذي يستطيع أن يدّعي أن الدال أو الزاي، أكثر سهولة في نطقها من الذال، ثم يتّخذُ ذلك مبرراً لظهور الذال الفصيحة زاياً أو دالاً في اللهجة المصرية الحديثة؟... وليس وضع طرف اللسان بين الأسنان بالأمر المُجْهِد ولا وضعه خلفها بالأمر المريح، ولو كان هذا حقيقياً لانقرض صوت الدال من جميع لغات البشر، استجابة لدعوى من يقول بجنوح الإنسان إلى التخلص من الأصوات التي يتطلب النطق بها جهداً أو عُسراً»(٢).

ويرى د. رمضان عبد التواب أن هذا القول المتعجّل، ليفترض في هذه القوانين الحتمية والشمول، وهذا لَمْ يَقُلُ بهِ أحد(٣).

وبعد استعراضنا لآراء العلماء نلاحظ أن هناك جدلاً بين علماء اللغة حول هذه النظرية، فالذين أنكروا هذه النظرية تصوروا أن هذا التطوّر يستلزم المواضعة والاتفاق، وأن للمرء إرادة في مثل هذا التطوّر كما أنّها

---

(١) لغات البشر ٨٥.
(٢) لغات البشر ٣٣-٣٤.
(٣) التطور اللغوي ٨٦.

تنسب للإنسان الكسل ، مع أنه يزداد نشاطاً على مر الأيام[١].

ومن أيّدَ هذه النظرية يرى أنّ مثل هذا التطور يحدث لا إرادياً وعن غير قصد، كما أنّ هذه النظرية لا تنسب للإنسان الكسل فهي تؤدي الغرض الذي ينشده الإنسان بعكس الكسل الذي لا يؤدي إلى ذلك[٢].

ومن الملاحظ أن كل تلك الإشارات التي وردت في كتب القدماء من أمثلة وشواهد لكراهية الثِّقَل، والميل إلى الأخف منه، وكراهية توالي الأمثال، والتماس الخفّة، واستعمال الألسنة في ضرب واحد، وغيرها من تلك الإشارات ماهي إلاّ أدلة وشواهد على ميل الإنسان بطبيعته إلى الأسهل والأيسر في النطق، ومعظم الأسباب التي مرّت بنا في الحديث عن تطوّر الأصوات تهدف إلى التماس جانب السهولة، إلا أن هذه الرغبة بالسهولة ليست هي السبب الوحيد في تطور الأصوات، فهناك عوامل أخرى تُؤازِرُ هذا العامل ليقوم بدوره في تطور الصوت، وفي كل سبب أو قانون لتطوّر الأصوات يمكننا القول بأنه ليس هو العامل الوحيد في تطور الصوت.

قانون الأقوى:

يُنْسَب هذا القانون إلى عالم اللغة الفرنسي (Maurice Grammont) ويُطلق عليه «قانون الأقوى»، أي أنّ التأثير الذي يحدث بين صوتين يقتضي أن يكون أحد الصوتين أقوى من الآخر فبالتالي تكون الغلبَة والسيطرة للصوت الأقوى، والصوت الأضعف هو الذي يكون قابلاً للتأثر[٣].

---

(١) الأصوات اللغوية ١٨٩-١٩٠.

(٢) المرجع السابق ١٨٩-١٩٠.

(٣) دراسة الصوت اللغوي ٣٧٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقد تجلّى هذا القانون عند حديثنا عن « قانون المماثلة » فكما رأينا فيما تَضَمّنَهُ ذلك القانون من أمثلة أن الصفات التي توسم بالقوة (كالجهر والشدة والإطباق) تُؤثِّر في الصفات المقابلة لها والأقَلّ منها قوّة، فتجتذبها إليها وتَحوِّلها إلى نظائر تقترب منها أو تماثلها في قوّتها.

قانون التَّرَدُّدُ النَّسبِي:

تَرّددَ مصطلحا الشيوع والتردد النسبي في كتب اللغة[١] ويقصد بها: أنَّ الكلمات التي يكثر استعمالها والأصوات التي يكثر ترددها على ألسنة المتكلمين تتعرض للتغيّر والتطوّر أكثر من تلك الأصوات والكلمات التي يقلُّ استعمالها[٢].

«فالكلمات القصيرة كثيراً ما تقاوم الانحرافات التي تصيب الكلمات الطويلة باطِّراد، أما الكلمات الطويلة فعلى العكس من ذلك، تقدّم لنا في بعض الأحيان انحرافات خاصة ناجمة من طولها، هذه بوجه خاص في الحال بالنسبة لكلمات كثيرة الاستعمال، ومن ثمّ يُمكن فهمها قبل النطق بها إلى حد أنّ المتكلم يستطيع أن يعفي نفسه من توضيح النطق بها مكتفياً بنطقها في صورة مختصرة، فالبلى الصوتي واضح فيها بدرجة مختصرة »[٣].

يشير فندريس في القول السابق إلى أن الكلمات المتداولة بصورة مُستمرّة ليست في حاجة إلى التوضيح؛ لذلك حين يُتَحدَّثُ بها فإن المتكلم يُلْقِي بها مقتضية محدثاً فيها تغييراً، نظراً لأنها متعارفة فهي غِنى عن

(١) الأصوات اللغوية ١٩٠–دراسة الصوت اللغوي ٣٧٥.
(٢) الأصوات اللغوية ١٩٠.
(٣) اللغة ٨٩.

النطق بها تامّة، وهذا ما يُسمِّيه «بالبلى الصوتي»، فكثرة استخدام الأصوات سبباً في بِلاها.

ومن أمثلة ذلك كلمات التحية، فلأنّ الناس يردّدونها بشكل يومي، فإنها متعارفة بحيث أن التطوّر الذي يصيبها على ألسنة الناطقين بها لا يؤثر في وضوح فهمها «فأنعم صباحاً» تطورت إلى «عم صباحاً»، وفي مصر يقولون «سلخير» بدلاً من «مساء الخير»، وفي العراق يقولون: «الله بالخير» أي: صبّحك الله أو مسّاك الله بالخير، ومثلها كلمة «اخسأ» التي أصبحت لدينا «اخص»، ومثلها كلمة «بودّي» أصبحت لدى بعض الشعوب العربية «بدّي»، «وسمعاً وطاعة» تطورت إلى «سّمْ»، وعبارة «أي شي» التي أصبحت «أيش»[(١)].

وقد تنبّه القدماء إلى هذه الظاهرة وجاء في ثنايا حديثهم ما يشير إليها، فقد أشار ابن جنّي إلى ذلك بقوله «هذا اللفظ كثر في كلامهم وشاع استعماله، وهم لما يكثر في استعمالهم أشدَّ تغييراً، كما جاء عنهم لذلك: لم يكُ، ولا أَدْرِ، ولم أُبَلْ، وأَيْش تقول؟»[(٢)].

ويشير إلى ذلك في موضع آخر بقوله « لما كثر استعمالها، تلعبت بها العرب كأشياء يكثر تصرّفها، لكثرة نطقها بها »[(٣)].

---

(١) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ١٣٥-١٣٧.

(٢) المحتسب ١/ ٣٧، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جنى، الناشر: وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٣) المحتسب ١/٣٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الخاتمة

بعد هذه الدراسة الموجزة بغرض معرفة الأسباب التي تؤثّر في تطور أصوات اللغة والقوانين التي تحكمها استنتجنا الآتي:

١-لا يوجد اتفاق على الأسباب والقوانين التي تؤثر في تطورات اللغة وأصواتها.

٢-القوانين الصوتيّة لا يُمكنها تفسير جميع الظواهر اللّغوية، إلا أنها تساعد في معرفة الظروف التي تحيط باللغة أثناء سيرها وتطورها.

٣. من أكثر القوانين الصوتية تأثيراً في تطوّر أصوات اللغة بصفة عامة هو قانون : السهولة والتيسير، ثم يأتي بعده في التأثير قانون المماثلة والذي يؤثّر في سيره قانون الأقوى .

٤. لا يمكن وضع قاعدة ثابتة للحكم على أصوات اللغة بأنّ أحدها أسهل من الآخر في النطق عند جميع اللغات أو البيئات ، فكثيراً ما يعود ذلك إلى رغبة المتكلّم وبيئته وعاداته اللغوية ، فما يراه شعب أو بيئة صوت سهل قد تراه بيئة أخرى أو شعوب أخرى صوت صعب .

قائمة المراجع

- أرثرجفري. (١٩٥٤). مقدمتان في علوم القرآن. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- الإشبيلي، ابن عصفور. (١٩٨١م). الممتع في التصريف (تحقيق: فخر الدين قباوه). بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة.
- البهنساوي، حسام. (٢٠٠٤م). علم الأصوات. مكتبة الثقافة الدينية.
- الجاحظ، عمرو بن بحر. (١٩٦٨م). البيان والتبيين. بيروت: دار صعب.
- ابن جنى، عثمان. (١٩٩٩م). المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- ابن جني، عثمان. (١٩٩٩م). الخصائص (تحقيق: محمد علي النجار) (ط. ٤). الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الحلبي، عبدالواحد بن علي. (١٩٦١م). الإبدال (تحقيق : عزالدين التنوخي).
- الراجحي، عبده. (١٩٩٩م). اللهجات العربية في القراءات القرآنية. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
- الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق. (١٩٦٢م). الإبدال والمعاقبة والنظائر (تحقيق : عزالدين التنوخي). دمشق: مطبوعات المجمع العلمي العربي.
- الزعبي، آمنة صالح. (١٤٢٨هـ، ربيع الأول). المحمول على التغيّر الاتفاقي في كتب الإبدال. مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ١٩(٤٠).
- السيوطي، جلال الدين.(١٩٩٩م). الأشباه والنظائر في النحو (تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي). صيدا –بيروت: المكتبة العصرية.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- الصالح، صبحي. (١٩٦٠م). دراسات في فقه اللغة. بيروت- لبنان: دار العلم للملايين.
- اللَّخْمِي، ابن هشام. (٢٠٠٣م). مدخل إلى تقويم اللسان (تحقيق: د.حاتم الضامن). دار البشائر الإسلامية.
- المبارك، محمد. (٢٠٠٠م). فقه اللغة وخصائص العربية. بيروت –لبنان: دار الفكر.
- أنيس، إبراهيم. (٢٠١٧م). الأصوات اللغوية. مكتبة الأنجلو المصرية.
- أنيس، إبراهيم. (٢٠١٠م). في اللهجات العربية. مكتبة الانجلو المصرية.
- أولمان، ستيفن. (١٩٩٧م). دور الكلمة في اللغة (ترجمة: كمال بشر) (ط. ١٢). دار غريب الطباعة والنشر.
- أيوب، عبد الرحمن. (١٩٦٨م). اللغة والتطور. مطبعة الكيلاني.
- باي، ماريو. (١٩٧٠م). لغات البشر أصولها وطبيعتها وتطورها (ترجمة: صلاح العربي). القاهرة: الجامعة الامريكية.
- باي، ماريو. (١٩٨٧م). أسس علم اللغة (ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر) (ط.٣). القاهرة: عالم الكتب.
- برجشتراسر.(١٩٨٢م). التطور النحوي للغة العربية (أخرجه وصححه وعلق عليه ، د.رمضان عبدالتواب). القاهرة: مكتبة الخانجي، الرياض: دار الرفاعى.
- دي سوسير، فردينان. (١٩٨٤م). محاضرات في الألسنية العامة (تعريب: يوسف غازي، ومجيد النصر). جونية: دار نعمان للثقافة،.
- سليمان، سليمان أحمد. (٢٠٠٥م). في علم اللغة والأصوات. الدمام: مكتبة المتنبي.

- عبد التواب، رمضان. (١٩٦٧م). لحن العامة والتطور اللغوي. القاهرة.
- عبد التواب، رمضان. (١٩٩٧م). التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- عكاشة، محمود. (٢٠٠٩م). التطور الصوتي في الألفاظ أسبابه وظواهره. القاهرة: دار النشر للجامعات.
- عمر، أحمد مختار. (١٩٩١م). دراسة الصوت اللغوي. القاهرة: عالم الكتب.
- فندريس، جوزيف. (١٩٥٠م). اللغة (تعريب: عبدالحميد الدواخلي ،ومحمد القصاص). مكتبة الانجلو المصرية.
- ابن قنبر، عمرو بن عثمان. (٢٠٠٤م). الكتاب (تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون) (ط.٤). القاهرة: مكتبة الخانجي.
- كمال، ربحي. (١٩٨٠م). الإبدال في ضوء اللغات السامية: دراسة مقارنة. بيروت: منشورات جامعة بيروت العربية.
- ماريوباي. (١٩٨٧م). أسس علم اللغة (ترجمة وتعليق: أحمد مختارعم) (ط.٣). عالم الكتب.
- مصطفى، إبراهيم؛ الزيات، أحمد؛ عبد القادر، حامد؛ والنجار، محمد. (١٩٨٩م). المعجم الوسيط (تحقيق:مجمع اللغة العربية). دار الدعوة.
- هلال، عبد الغفار حامد. (٢٠٠٠م). الصوتيات اللغوية. القاهرة: دار الكتاب الحديث.
- هلال، عبد الغفار. (١٤١٦هـ). أصوات اللغة العربية (ط.٣). مكتبة وهبة.
- وافي، علي عبد الواحد. (١٩٩٧م). علم اللغة (ط. ١٠). نهضة مصر.
- ابن يعيش، موفق الدين. (١٩٩٨م). شرح المفصل. بيروت: عالم الكتب.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١.	ملخص	٨٦٥
٢.	Abstract	٨٦٦
٣.	مقدمة	٨٦٧
٤.	اختلاف أعضاء النطق:	٨٦٩
٥.	البيئة الجغرافية:	٨٧١
٦.	الحالة النفسية:	٨٧٢
٧.	السرعة في النطق:	٨٧٣
٨.	العادات اللغوية للشعوب:	٨٧٥
٩.	اختلاف اللهجات:	٨٧٦
١٠.	أخطاء السمع:	٨٧٩
١١.	قوانين التطور الصوتي	٨٨٢
١٢.	ومن أهم القوانين الصوتية:	٨٨٢
١٣.	المخالفة	٨٨٨
١٤.	قانون السهولة والتيسير:	٨٩١
١٥.	قانون الأقوى:	٨٩٥
١٦.	قانون التَّرَدُّدُ النَّسبِي:	٨٩٦
١٧.	الخاتمة	٨٩٨
١٨.	قائمة المراجع	٨٩٩
١٩.	فهرس الموضوعات	٩٠٢

بحمد الله